

تعليمية البلاغة العربية وطرائق تدريسها

- درس الاستعارة المكنية والتصريحية أنموذجا -

The didactic of Arabic Rhetoric and the methods of its teaching (implicit and explicit metaphor as a model)

أ.تقى شنوف* ، touka212003@gmail.com

أ.صفاء اللّبي، safalbibi869@gmail.com

المدرسة العليا للأساتذة بورقلة - الجزائر.

قسم اللغة العربية

تاريخ الارسال: 11-04-23، تاريخ القبول: 11-06-23 تاريخ النشر: 12-12-24

الملخص:

نسعى من خلال دراستنا إلى عرض تعليمية البلاغة من زاوية جديدة، إذ تعدّ البلاغة من أهم وأسمى العلوم اللّغوية تنمية للذّوق الأدبي، ونظرا لمكانتها وجب اعتماد طرائق تتماشى مع مستوى المتلقين؛ وهذا ما تسعى إليه التعليمية؛ حيث تهدف إلى الخروج من قالب التدريس النمطي إلى استحداث طرائق جديدة وفعّالة في تدريس البلاغة العربية، مراعية في ذلك عدم تجريدها من صبغتها، عسى أن تتخلص التعليمية من العجز الذي تعانيه مؤسساتنا التّربويّة، واخترنا درس الاستعارة كأنموذج لمحاولة تطبيق ما سلف ذكره.

الكلمات المفتاحية: تعليمية البلاغة؛ تدريس؛ استعارة مكنيّة؛ استعارة تصريحية.

Abstract :

This study aims to present the didactic of rhetoric, since it contributed in the literary taste growth, due to its place, it had to be relied on ways consistent with level of audience, as the rhetoric aims to use new effective ways in teaching rhetoric, by not to be disqualified, wishing the educational institutions may get rid of that deficit. Thus, the metaphor was applied.

keywords: didactic of rhetoric; teaching; implicit metaphor; explicit metaphor.

*المؤلف المراسل: تقى شنوف، الإيميل: touka212003@gmail.com

مقدمة:

تهتم التعليمية بدراسة الطرائق المعتمدة في تدريس العلوم المختلفة وتسعى جاهدة لتطويرها، إذ لا يقتصر دورها على طرائق التدريس فقط، بل يتعداه إلى المعلمين والمتدربين باعتبارهما محور العملية التعليمية محاولة تجديدها بصفة كاملة. وسنسلط الضوء في هذه الدراسة على علم غُد من أهم العلوم اللغوية الفنية تنمية للذوق وتحسينا للأسلوب والنسج، ألا وهو علم البلاغة. وتبوءه هذه المكانة ليس بالعبث حيث يتوجب على الباحث في تفسير القرآن، والعقيدة، والفقه الدراية التامة به وبأقسامه.

ونظرا لمكانته انكب العلماء قديما وحديثا ساعين وراء استحداث طرائق لتدريسه وفق تقنيات تُسهل على المعلم إيصاله وعلى المتعلم استيعابه وتحقيق أكثر إنتاجية بأقل مجهود، ونحن بدورنا سنحاول في هذا المقال عرض الطرائق القديمة والحديثة والوقوف عند عيوب كل منهما محاولين من خلالها إيجاد طريقة نراها ناجعة لتدريس البلاغة وتطبيقها على درس الاستعارة الذي سنتخذه كأمودج، فما المقصود يا ترى بتعليمية البلاغة؟ وما هي الطرائق المعتمدة في تدريسها؟ وأي طريقة هي أنجع في ذلك؟

وسوف يتم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاث محاور كبرى كالآتي:

- ✓ المحور الأول: تعريفات عامة.
- ✓ المحور الثاني: تدريس البلاغة.
- ✓ المحور الثالث: أنمودج لدرس الاستعارة المكنية والتصريحية.

1- تعريفات عامة:

1-1- تعريف التعليمية:

لغة: "تحدّر كلمة (ديداكتيك) من حيث الاشتقاق اللغوي من أصل يوناني Didactikos أو Didasmien وتعني حسب قاموس روبير الصغير Le petit robert، درس أو علم enseigner"⁽¹⁾.

اصطلاحا: يقصد بالتعليمية "كل ما يهدف إلى التثقيف وما له علاقة بالتدريس"⁽²⁾، كما تعرف بأنها الدراسة العلمية لطرائق وتقنيات التدريس، وتعد علما قائما بذاته تنصب اهتماماتها على الإحاطة بالتعليم ودراسته دراسة علمية وتقديم الأبحاث العلمية عنه، وذلك من خلال البحث في محتوياته وطرائقه ونظرياته.

واعتبرها لالاند "Laland": "فرعا من فروع البيداغوجيا موضوعه التدريس"⁽³⁾.

كما عرف بروسوت "Broussaut" الديداكتيك بأنها: "مادة تربوية موضوعها التركيب بين عناصر الوضعية البيداغوجية وموضوعها الأساسي هو دراسة شروط إهداء الوضعيات أو المشكلات المقترحة على التلاميذ قصد تيسير تعلمهم"⁽⁴⁾.

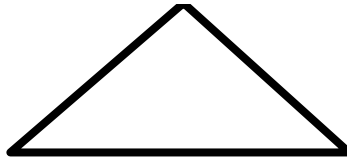
ورغم الصعوبات التي تعتري التعليمية إلا أن أغلب الدارسين استطاعوا تقسيمها إلى نوعين متكاملين هما:

1-1-1 تعليمية عامة: ويهتم هذا النوع من التعليمية بكل ما هو مشترك في تدريس مختلف المواد، كتدريس اللغة العربية المادة التي تعد العامل المشترك بين مختلف المواد بحيث أن الإلمام بمختلف قواعدها التي يتعين معرفتها لا يعني أخذ خصوصيات المواد الأخرى أو ضرب لقواعد هذه المواد وقوانينها عرض الحائط.

1-1-2 تعليمية خاصة: ويهتم هذا النوع من التعليمية بدراسة كل مادة على حدة مع مراعاة الطرائق والأساليب الخاصة بها، كتعليمية النحو التي تختلف على تعليمية البلاغة وكذا العروض⁽⁵⁾.

تعد التعليمية (الديداكتيكية) نواة العملية التعليمية التعلمية، إذ يتفق المربون والمعلمون في مختلف الأنظمة التربوية على أن التعليمية أو الفعل الديداكتيكي شديد التعقيد والصعوبة كونه يتطلب دراية كافية ودقيقة بالعناصر الثلاث المتدخلة في تكوين هذه العملية (معلم، متعلم، مادة معرفية) والإلمام بكل هذه المعايير وأخذ الاعتبار بها في العملية التعليمية يعد نجاحا بحد ذاته لها، لا سيما أن احترامها يسمح بتوفير العوامل المناسبة لتكوين علاقات بين مختلف عناصر المثلث الديداكتيكي الذي يمكن تجسيده كالتالي:

المعرفة، المادة التعليمية (القطب المعرفي)



المعلم (القطب البيداغوجي)

المتعلم (القطب السيكولوجي)

أما عن المعلم: فهو يعد عنصرا مهما من عناصر العملية التربوية، إذ أنه يقوى ويصلح بصلاحه ويضعف ويفشل بفشله، ولنجاحه في توصيل رسالته خلال قيامه بالعملية التعليمية وجب عليه أن يكون على استعداد مهني؛ أي أن يمتلك القدرات الكافية التي تؤهله للقيام بهذه

المهنة الشريفة، كما أنه من الضروري أن يكون المعلم صبورا في أداء مهنته فيراعي الفروقات في مستويات المتعلمين ويتماشى معها بما يناسبها حتى يحقق الفهم والاستيعاب لدى أغلبهم إن لم نقل كلهم، كما لجودة الإلقاء دور كبير في نجاح هذه العملية، فكلما كان أكثر تحكما وضبطا فيها كلما لفت انتباه المتعلمين وكسب ثقتهم وعقولهم.

المتعلم: يمثل العمود الفقري للعملية التعليمية والعنصر الأساسي فيها كونها قائمة على أساسه إذ ينبغي عن المعلم أن يعي كيف يتماشى وقدرات المتعلمين المختلفة كما أشرنا سابقا. **المادة العلمية:** وهي مجموعة المعارف والمهارات المقررة والموجهة للمتعلمين بالدرجة الأولى المندرجة تحت مسمى المنهاج التربوي، إذ يجب أن تتدرج في المفاهيم من البسيط إلى المركب ليسهل على المتعلمين هضمها وإدراك الغاية منها.

ومنه فالعملية التعليمية تتطلب حضور كل عناصر المثلث الديداكتيكي التي يربط بعضها بعضا لتحقيق الغاية المرجوة فغياب عنصر منها تخفق هذه العملية وتبوء بالفشل. وعموما يمكن وصف علاقة المعلم بالمتعلم "بالعقد الديداكتيكي" لأنه وكما نعلم أن أساس التعليم هو المعلم الملقى والمتعلم المتلقي⁽⁶⁾؛ اللذان تربطهما المادة التعليمية الصادرة عن الأول ليستقبلها الثاني على الترتيب، والتي عند ترابطها وباتباع المعلم السبل والطرائق المناسبة في توضيحها وعرضها على المتعلم نكون قد حققنا النجاح الباهر في التعليمية وحق لنا أن نقول إننا بلغنا المرجو.

1-2- تعريف البلاغة:

لغة: "تفيد البلاغة معنى البلوغ والوصول والانتهاء، فعندما نقول: بلغ الغلام، أي: أدرك ووصل سن البلوغ والرشد.

ويقال: بلغت المنزل، أي: وصلت إليه.

وقوله تعالى: «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا» [سورة النور: 59].

أي وصلوا سن البلوغ.

وقوله كذلك: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرِوفٍ» [سورة الطلاق: 2].

أي قاربنه ووصلن إليه.

إن فالبلاغة عند أهل اللغة هي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد⁽⁷⁾، والبلوغ هو من حسن وفصح كلامه فبلغ ووصل وجسد بتعبيره الصورة أو المعنى الكامن في نفسه ووفق في نقله كما هو إلى السامع، فكلمة البلاغة تحمل في أصل اشتقاقها اللغوي معنى

التبليغ والتوصيل؛ أي القدرة على توصيل ونقل معنى محصور في النفس إلى خارجها وتبليغه إلى آخر بعدة طرائق كالكلام بالدرجة الأولى أو القرائن غير اللغوية -لا تحمل معنى- المساعدة على الكلام كالإيماءات، والإشارات، ودرجة الصوت، وتنغيمه، أو عن طريق الكتابة...

اصطلاحاً: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته والبليغ لا يوصف بالبلاغة إلا إذا: "عرف ما يقتضيه المقام من مقال، وقال فيه من الكلام ما يحسن أن يقال في مثله، واختار المعاني من الألفاظ والجمل والأساليب ما يتناسب وعقول القارئ والسمعين وشعورهم وذوقهم، فتلك هي البلاغة"⁽⁸⁾.

وما يوجبه هذا العلم على الكاتب أن يكون ذا ذوق أدبي وبلاغي حتى يتمكن من التعبير عن موضوعه بما يليق به من أساليب، إضافة إلى أنه من الضروري أن يتعرف على عقليات القارئ والسمعين ليختار بذلك الألفاظ والأساليب المناسبة لعقولهم حتى يتم استيعابها، فالخطيب مثلاً يخاطب الناس بلغة سهلة بسيطة لأنه يخاطب العامة بينما يختلف خطابه مع العلماء أو من هم على مقربة من ثقافته الأدبية، كما وجب عليه أن يستمد كلامه من تجاربه الخاصة وأن يكون قادراً على تصوير مشاعره للآخرين، فكلمنا نجح في ذلك وفهم السامعون ما أراد الأديب إيصاله كان أبلغ وأفصح، وهذا ما يقتضي أن يكون عليه الأديب ليصل إلى درجة البلاغة ويقال عنه أنه بليغ.

1-3- تعليمية البلاغة:

إن تعليمية البلاغة يتطلب اتباع طرائق واستراتيجيات ممنهجة ومناسبة لعقول المتعلمين لبلوغ الهدف المنشود، إذ أنها تفرض على المعلم أن يكون ذا حس أدبي وذوقي مرهف ورفيع يستطيع من خلاله تجسيد ونقل الصورة البلاغية الكامنة في قرارته إلى المتعلم، وهذا الحس الأدبي الذي يتعين على المعلم امتلاكه سيعكس بالضرورة جزالة في ألفاظه ورصانة في أسلوبه تمكنه من إيصال أفكاره إلى المتعلمين ونقلها إليهم وتصويرها تصويراً دقيقاً بالأسلوب المناسب الذي تهدف إليه العملية التعليمية للبلاغة.

2- تدريس البلاغة:

2-1- تعريف التدريس:

يعد التدريس المصطلح الضيق للتعليمية إذ أن التدريس عموماً هو: "عملية تواصل بين المعلم والمتعلم، ويعني الانتقال من حالة عقلية إلى حالة عقلية أخرى، حيث يتم نمو

المتعلم بين لحظة وأخرى نتيجة تفاعله مع مجموعة من الحوادث التعليمية التي تؤثر فيه⁽⁹⁾. حيث يضمن التواصل السليم بين المعلم والمتعلم الوصول إلى الأهداف المنشودة وتحقيق الموازنة الدقيقة بينها وبين الاستراتيجيات والطرق اللازمة لتحقيق تلك الأهداف، فيكتسب المتعلم الخبرات الواجب تعلمها مباشرة كانت أو غير مباشرة، ولا شك أن عملية التدريس بجانبها التطبيقي والنظري يجب أن تمر بمراحل ثلاث متمثلة في التخطيط والتنفيذ والتقييم، فالمعلم يتوجب عليه وضع خطة استراتيجية ممنهجة لسيرورة الحصة ومن ثم يعمل على تنفيذها، وفي الأخير يضع تقييما يختبر به مدى نجاح عملية التدريس التي قام بها فيقدم التغذية الراجعة لهم حال وقوعهم في الخطأ⁽¹⁰⁾.

2-2- تدريس البلاغة بين القديم والحديث:

كل ما سبق ذكره هو الأصل الذي تتبنى عليه العملية التعليمية السليمة لأي مجال أو تخصص بما فيها البلاغة العربية، هذا العلم الذي أثار جدلا وخلافا كبيرا بين الأدباء في كيفية تدريسه، فهناك منهم من صرح بأنها فاشلة واتهمها بالقصور بحجة أنها لم تستطع الوصول بالمتعلمين إلى الهدف الذي تسعى إليه من دراستها، وهناك من انتصر إلى البلاغة نفسها ودافع عنها مصرحا أن نجاح عملية تدريسها راجع إلى الطرائق المعتمد عليها في إيصال الأفكار للمتمدرسين أو المتعلمين، سواء من حيث طريقة التدريس أو طريقة عرض المعلومات⁽¹¹⁾، والجدير بالذكر هنا هو ما خلص إليه من طرائق لتدريس هذا العلم، حيث وجدت طريقتان سيطرتا على تدريسه وهما:

- ✓ تدريس البلاغة بالطريقة التي نهضت على طوابع تمزيق وحدة البلاغة، وقسمتها إلى علوم ثلاثة «المعاني، البيان، والبديع» ودراسة المعاني تسبق دراسة البيان والبديع⁽¹²⁾، وهذا ما نجده يتنافى مع القاعدة التربوية التي تقتضي عند تطبيقها التدرج في التعليم من السهل إلى الصعب، والمعاني تعد من أصعب العلوم البلاغية؛ إذ أن تدريسها يكون بمعزل عن النص الأدبي وهذا ما يفقد البلاغة جوهرها وقيمتها.
- ✓ "تدريس البلاغة بالطريقة التي ترى أن البلاغة وحدة متكاملة"⁽¹³⁾، وذلك لأن طبيعتها تتطلب أن تكون كتلة واحدة متجسدة ضمن نصوص أدبية لتضفي عليها طابع الجمالية سواء من حيث التراكيب أو الألفاظ أو المعاني، فتجتمع كل أركان البلاغة من معاني وبيان وبديع في قالب واحد يساعد على الوصول بها إلى غايتها المرجوة، ألا وهي البلوغ بالمتعلمين أو المتمدرسين إلى تذوق النصوص الأدبية ومنح الفرصة

لهم للوقوف على أسرار الإعجاز في القرآن الكريم وإدراك معانيه وجماله، ما يُكوّن لديهم ملكة النقد والقدرة على معرفة وتفريق حسن الكلام من قبيحه من خلال الوقوف على مختلف دروسها من استعارة ومحسنات بديعية ومجاز... (14)

وفيما يلي إشارة إلى بعض الأخطاء التي ترتكب في تدريس البلاغة:

✓ تدريسها مجردة من صبغتها الأساسية وهو الأسلوب الفني الذي يساعد ويسهل على المتعلم استنباط ما تحويه في طياتها من المعالم الجمالية، حيث اعتمد هؤلاء المعلمين بدل ذلك على أحكام وتعريف تكاد تكون جامدة لا تكفي المتعلم ولو بالقليل في بحر هذا الفن (البلاغة) مما يؤدي به إلى حفظها واسترجاعها دون فهمها. فلا عجب إذاً من التدني الكبير في مستوى الملكة الإبداعية والذوق الأدبي الذي سيفرز حتماً متعلماً مستصعباً لاستخراج الظاهرة البلاغية وفهمها.

✓ الاعتماد على الجداول في تدريس البلاغة مما يؤدي إلى ضعف الأمثلة وصرف التلميذ عن القيمة المعرفية المقدمة له وذلك لانشغاله بمأ الجدول، "فهذه الطريقة تقضي بتحيف الأمثلة وتمزيقها، وتشويه جمالها، وتتجه بالمناقشة اتجاهاً نظرياً مقتضياً، تحده أقسام الجدول، ولا تزيد فائدة الدرس على ملئ هذه الأقسام، وذكر القاعدة، وتحديد الأنواع، وسوق المصطلحات، كأنها هي الغاية المقصودة" (15).

✓ يعتمد الدرس البلاغي اليوم على الأمثلة الموجهة لغير الناطقين باللغة العربية في المناهج التعليمية والتي في الغالب تكون بلغة سهلة بسيطة سلسلة بينما يجب أن تكون موجهة بلغة جزلة من نصوصها الأصلية لكوننا أهل اللغة العربية "مجاافة النصوص الأدبية الخصبة ذات الصور البارعة، والأخيلة الرائعة، والالتجاء إلى الأمثلة المقتضبة المصنوعة؛ للتخفيف من مؤنة الشرح الأدبي، وللوصول في سرعة-إلى تحديد الألوان البلاغية، وتسميتها بأسمائها الاصطلاحية" (16).

✓ الزيغ عن الربط بين الموضوعات ذات الغايات المتقاربة كالجناس والسجع أو المقابلة والتورية، و: "إهمال الربط بين الوحدات البلاغية، أو بين عناصر كل وحدة والمقصود بالوحدة مجموعة من الموضوعات تتحدد غاياتها أو تقارب، مثل الجناس والسجع والازدواج، من حيث إنها مظاهر للانسجام الصوتي،

ومثل المقابلة والتورية لأنهما تمسان الجمال المعنوي، والأمر والنهي والاستفهام من حيث إنها طلب...⁽¹⁷⁾.

أما عن طرائق تدريسها ميدانيا فقد عرفت طريقتين هما الطريقة القياسية والطريقة الاستقرائية، حيث تعدان في وقتنا هذا من الطرائق القديمة، وفيما يلي تفصيل لكل منهما:

أ- **الطريقة القياسية:** تعتمد هذه الطريقة على عرض القاعدة البلاغية مباشرة، ومن ثم توضيحها بالأمثلة، لتنتهي بمجموعة من التطبيقات عليها، فهي تعتمد طريقة عرض دروس النحو، هذه الأخيرة التي تتطلب من المتعلم حفظ القاعدة ومن ثم التطبيق عليها، يمكن تلخيص خطوات هذه الطريقة فيما يلي:

التمهيد: يتم في هذه المرحلة تهيئة الطالب للدرس الجديد، وذلك من خلال التطرق إلى الدرس السابق للتذكير به ولضرورة الربط بينه وبين الدرس الذي يليه.

عرض القاعدة: تكتب القاعدة كاملة وبخط بارز واضح، بمجرد قراءة الطلبة لها سينتابهم شعور بمواجهتهم لمشكلة عويصة يصعب حلها، حيث هنا يظهر دور المعلم الذي سيحاول جاهدة الوصول إلى الحل مع طلبته، وذلك من خلال تفكيك القاعدة إلى وحدات مستقلة عن القاعدة العامة.

تفصيلها: يطلب المعلم في هذه المرحلة من المتمدرسين الاتيان بأمثلة تنطبق مع القاعدة، وفي حال عجزهم يساعدهم المعلم على ذلك، فيكتفي بإعطائهم مثالا واحدا ليعقبه إعطاء الطلبة لأمثلة أخرى قياسا على مثال المعلم.

التطبيق: بعد رسوخ القاعدة في أذهان المتعلمين يعطي المعلم تطبيقا أو فحصا يعي من خلاله مدى استيعاب المتعلمين للدرس.

ب- الطريقة الاستقرائية: لقد حاد بعض المدرسين عن الطريقة القياسية إلى الطريقة الاستقرائية في تدريس البلاغة، كون الاستقراء هو الطريق الذي يسلكه العقل في تتبع مسار المعرفة للوصول إلى المعرفة الكاملة، حيث هذه الطريقة هي معاكسة تماما لسابقتها فهي تعرض الأمثلة أولا ثم القاعدة وفق التسلسل الآتي في الخطوات:

التمهيد: حيث يتم فيه جلب انتباه التلاميذ وإبعادهم عما يشتت أذهانهم ومحاولة تصفية عقولهم من أي معيقات تحيلهم عن فهم الدرس الجديد، ومن ثم يبدأ المدرس بتقديم مثال يتعلق بالدرس السابق ويخدم الدرس الجديد ليحاول بذلك ربط معلوماتهم وتنظيمها.

العرض: يتحدد في هذه المرحلة موضوع الدرس ويقوم الأستاذ بعرض مجموع الأهداف التي يريد من الطلبة الوصول إليها، حيث هذه المرحلة تعد ربطا لما سبق من معلومات بما يليها، حيث يصل المتدربين بمساعدة مدرّسهم إلى الأمثلة المطلوبة بعد إعطائهم صورة أولية عن الدرس.

الربط والموازنة: وتكون بين الأمثلة من خلال المقارنة بينها والتدقيق فيها وربط بعضها ببعض استعدادا لاستنباط القاعدة.

استنتاج القاعدة: في هذه المرحلة يحاول المتدربين بالتعاون مع مدرّسهم استنباط القاعدة بعد أن ربط بين الأمثلة وعرف العلاقة بينها.

التطبيق: تعد هذه الخطوة فحصا لصحة القاعدة يعي فيها المدرس مدى رسوخها في عقول التلاميذ، حيث يقدم لهم التغذية الراجعة حال وقوعهم في الخطأ مما يزيد من تمحيص أفكارهم وتقويمها وبهذا نضمن استيعابهم للقاعدة بالشكل الصحيح⁽¹⁸⁾.

عموما وحسب رأيي فالطريقتين وفقتا إلى حد بعيد في توصيل المعلومة للمتدربين، كون القياسية سهلة التقديم ولا تستغرق الوقت الكثير، وكون الأخرى تحرص على أن يسلك المتدريس طريقا صحيحا للفهم، فهي تحفّزه على المشاركة والانتباه وتجعل من الدرس تفاعلياً ما يعود ببعث الإيجابية لدى المدرس لوصوله مبتغاه، هذا إلى جانب نجاحها في ترتيب خطوات عرض الدرس البلاغي من جهة، ومن جهة أخرى ننوّه إلى أن الطريقتين رغم ميزاتهما إلا أنهما اعترتهما بعض النقائص نذكر منها:

- ج- عيوب الطريقة القياسية: صعوبة الوصول بالمتدرسين إلى فهم وإدراك الدرس البلاغي، كونها تسير عكس قوانين الإدراك، وذلك من خلال بدئها بالكليات انتهاء بالجزئيات، وهي لا تصلح بتاتا لتدريس البلاغة في الأطوار التعليمية الثلاث (الابتدائي، المتوسط، الثانوي).
- د- عيوب الطريقة الاستقرائية: فعيب عليها بطؤها واستغراقها لوقت كبير لتوصيل المعلومة للمتدرسين⁽¹⁹⁾.

هذا لو نظرنا إلى عيوب كل منهما على حدى، ولو نظرنا إلى عيوبهما معا لوجدنا أن أهم ما عيب فيهما اعتمادهما في الدرس البلاغي أمثلة مقتضبة معزولة عن السياق أو النص الأدبي الأمر الذي يُفقد البلاغة قيمتها وجمالياتها ويجعل منها مادة جامدة تدرّس تماما كقواعد النحو، وهذا ما أكدّه محمد الصغير قائلا: "إن اعتماد الأمثلة المبثورة عن سياقها تحول دون تحقيق هذه الوظيفة الأساسية لتعلم البلاغة، إذ أن إدراك أسباب الجمال في العبارات والكلام مرهون بمدى تحقيق هذا المبدأ، فهي ليست كالنحو من حيث صلتها بالأساليب لأن النحو لا يشرك الأساليب في تحقيق غايته أما البلاغة فقد تجاوزت هذا الحد إلى مجال ذلك لما تقتضيه طبيعتها التعليمية"⁽²⁰⁾، فهي تحصر بذلك تفكير المتدرس وتحبس قدراته الإبداعية مما يخلق لديهم أدواقا مشوهة عاجزة عن تذوق النص البلاغي والاستمتاع بمعانيه وإدراكها، ضف إلى ذلك أنهما لا تعتمدان على المتدرس في استنباط المعلومة، بل تجعل المدرس محور العملية التعليمية، فهي ترتكز بشكل كبير على طريقة التلقين في التدريس وإعطاء التلاميذ القاعدة جاهزة دون جهد، وفي ظل هذا القصور الذي عرفته الطرائق القديمة حاولت الدراسات الحديثة جاهدة أن تخلق طرائق جديدة في تعليمية البلاغة العربية لم تنفي ما توصلت إليه سابقتها وإنما اعتبرت امتدادا لها حيث حاولت صقل ما لم توفق فيه الطرائق القديمة، وغايتها من ذلك هو التخلص من طريقة التلقين وتحرير المتدرس من القيود التي تعيق تعلمه، وفتح المجال أمامه من أجل الإبداع وإعمال الخبرات وتبادلها، فهي بذلك تجعل من المتعلم محور العملية التعليمية وتطلق له العنان للتعامل بحرية مع المشكلات المعروضة أمامه، وفيما يلي نذكر بعضا من هذه الطرائق:

أ/ طريقة العصف الذهني: تقوم هذه الطريقة على مبادئ أهمها:

1/ البعد عن التقييم وترك التلاميذ يحاولون حل المشكلة المطروحة باقتراحهم لمجموعة من الأفكار دون تقييمها.

2/ إطلاق حرية التفكير لديهم ما يخلق عندهم القدرة على الإبداع وتوسيع الخيال من خلال ما يقدمونه من مقترحات لحل المشكلة المطروحة.

3/ البناء على أفكار الآخرين ما يعني جواز استغلال أفكار الآخرين في بناء أفكار جديدة مما يزيد من احتمالية الوصول إلى الحل الصحيح، واختصارا هي طريقة تركز على توليد أكبر عدد ممكن من الأفكار مهما كانت جودتها⁽²¹⁾.

ب/ طريقة المقاربة بالكفاءات: تهدف هذه الطريقة إلى بناء شخصية مستقلة قادرة على التعلم الذاتي واتخاذ القرارات، فهي تساهم في بناء الكفايات التي يحتاجها المتعلم في حياته اليومية، وتتميز هذه الطريقة بمجموعة من الميزات نوجزها فيما يلي:

- تجعل المتعلم محور العملية التعليمية.
- تنوع أساليب وطرق التدريس، وتجاوز البيداغوجيات التقليدية المتمركزة على المعرفة والمدرس إلى بيداغوجيات متمركزة على المتعلم.
- تحول مهمة المدرس من ملقن إلى موجه ومنشط لجماعة القسم.
- تجعل من المعارف السابقة أساسا لبناء معارف جديدة⁽²²⁾.

ما نخلص إليه مما سبق ذكره أن الطرائق الحديثة في التدريس حاولت ولا زالت تحاول النهوض بالعملية التعليمية لغرض تحقيق الفعالية فيها فيفهم التلميذ ويستوعب مجموع المعارف الموجهة له، لكن ما نراه أنها بالغت نوعا ما في الاعتماد على المتعلم فهي كادت أن تلغي دور المدرس داخل حجرات التدريس، واستغنت تماما عن دوره كملقن وجعلت منه موجه فقط، وهذا ما يشكل خطرا لفئة من التلاميذ ذوي الإمكانيات البسيطة، فمن الصعب عليهم الإتيان بأفكار لحل المشكلات المعروضة أمامهم، فهي تتطلب سرعة البداهة وقوة التركيز، اللذان لا تجدهما إلا عند التلاميذ المتفوقين ذوي الإمكانيات العالية، وبالتالي اقتصر التفاعل في الدرس على فئة من المتدربين دون غيرهم، وما نراه مجديا في عملية التدريس هو الدمج بين الطرائق القديمة والحديثة لتحقيق الأهداف الموسومة، فلا تكون عملية التدريس تلقينية بحتة ولا توجيهية محضة كون المدرس والمتدرب عنصران أساسيان في العملية التعليمية، حيث اخترنا درس الاستعارة لمحاولة تطبيق ما ارتأيناه مناسباً للقيام بعملية التدريس الصحيحة عسى أن نحصد ثمار النجاح فيها ببلوغ المتدربين درجة الاستيعاب والفهم الكامل. إذ تعتمد طريقتنا هذه على مبدأ الطرائق الحديثة في التوجيه والطرائق القديمة في التلقين، وكل ذلك سيتم وفق سير الطريقة

الاستقرائية التي نرى أنها وفقت في خطة سيرها أكثر من الطريقة القياسية، حيث يتم اعتماد هذه الأخيرة في عملية التدريس مع استبدال الأمثلة المبتورة فيها بنص أدبي يبقى على قيمة البلاغة وماهيتها، والمزج بين التلقين والتوجيه لتفادي مجموع المعوقات التي قد تعرقل السير الحسن للدرس، وسوف نعرض فيما يلي درس الاستعارة كنموذج لإسقاط الطريقة المقترحة.

3- الأنموذج (درس الاستعارة المكنية والتصريحية):

1-3 الجانب النظري:

التمهيد: يبدأ الأستاذ حصته بكتابة جملة بها تشبيه مفصل على السبورة، والذي كانوا قد تطرقوا له سابقا ويطلب منهم تحديد أركان التشبيه فيها كاملة من مشبه ومشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه، وبهذا الشكل يكون قد بدأ حصته بالتفاعل وربط ما سبق دراسته بما سيلحق من خلال تنشيطه لأذهان طلابه الذين سيقومون باستحضار معارفهم القبلية وتوظيفها للإجابة على المطلوب، فيباشر التلاميذ بالتفاعل والمشاركة تلقائيا ويتقدم أحدهم لاستخراج المطلوب، بعد ذلك يقوم المدرس باستخراج جملتين من الجملة الأم فيحذف تارة المشبه ويحذف تارة أخرى المشبه به، ثم يقوم بتوجيه سؤال لهم قائلا: ما الذي تلاحظونه في هتين الجملتين؟

- ليحيبوه: نلاحظ حذف المشبه من الجملة الأولى وحذف المشبه به من الجملة الثانية ويستمر هكذا في الأسئلة وسنح الفرصة لهم للإجابة عنها، وحال عجزهم يحاول توضيح وتقريب المعنى لهم بالتغيير في صيغ الأسئلة وطريقة الشرح حتى يصل بهم إلى مفهوم الاستعارة ليصرح لهم بعدها بعنوان الدرس فيكون بهذا قد أشرك طلابه استنباط عنوان الدرس معه.

العرض: في هذه المرحلة يدون المدرس النص الأدبي على السبورة بخط بارز ويقرأه لهم قراءة معبرة ليستطيعوا تذوق جمال النص الأدبي، وغايته من هذا الأخير التعرف على أنواع الاستعارة، فيسطر تحت جملتين ويدون الأولى منهما على السبورة ويطلب منهم إعادة التشبيه إلى أصله، ومن ثم يبدأ بتوجيه الأسئلة لهم كأن يقول:

- ما الذي حدث في هذه الجملة؟
- ماذا نسمي الجملة التي يحذف منها المشبه (مثلا)؟ ... وهكذا حتى يتوصل بهم إلى مصطلح الاستعارة المكنية والتصريحية ويفرق لهم بينهما فيشرح لهم كل منهما على حده ويذكر لهم سر بلاغتهما والهدف من توظيفهما في النص الأدبي، وذلك بعد أن خلق لهم جوا تفاعليا من خلال تدرجه في الأسئلة وتحفيزهم على المشاركة والمحاولة ومساعدتهم في الوصول إلى الإجابة الصحيحة للأسئلة المطروحة عليهم.
- ربط الأمثلة واستنتاج القاعدة: في هذه المرحلة يطلب الأستاذ من طلابه استجماع ما تعرفوا عليه من استعارة وأنواعها تمهيدا لاستنباط الحكم العام(القاعدة)، وشيئا فشيئا سيتوصلون إلى القاعدة بأنفسهم.

وبهذا نكون قد أعملنا وأشركنا المتمدرس بالقدر الكافي في العملية التعليمية دون إهمال لدور المدرس، مما يضمن تحقيق التوازن في العملية التعليمية الأمر الذي يبشر بنجاح وفعالية هذا الدرس البلاغي.

التطبيق: في هذه المرحلة يعمد المدرس إلى وضع تطبيق نهائي يختبر فيه استيعاب التلاميذ لدرس البلاغة، وبما أنه قدم لهم نصا أدبيا فلم لا يكون المطلوب منهم هو عودتهم إليه واستخراج استعارة مكنية وأخرى تصريحية، وحين إتمامهم للتطبيق بنجاح يبدأ الأستاذ في التدرج بهم في الأسئلة، وليس شرطا أن يكون في حصة واحدة بل يمكن أن يطبق ذلك وهم يقرأون نصا فيستوقفهم مثلا عند جمل لتحديد نوع الاستعارة وشرحها بالتفصيل، كذلك يمكن أن يعطيهم تشبيه ويطلب منهم استنباط النوعين من نفس المثال المعطى، بعد قيامه بهذه المرحلة ومعرفته نجاحها يعطيهم مجموعة من المفردات على أن يقوموا بتوظيفها لبناء استعارة بنوعيتها المذكورين آنفا، وهكذا شيئا فشيئا يهضم الدرس ولا يقتصرون على فهم الاستعارة فحسب بل يصلون درجة الإدراك بقيمتها وجمالها في النص البلاغي فيتربى عندهم الحس الأدبي والذوق الفني الأمر الذي رجونا تحقيقه.

2-3 الجانب التطبيقي:

يبادر الأستاذ طلابه بالتحية، ويكتب لهم المثال التالي على السبورة:

مريم كالقمر في الجمال

- يوجه المدرس سؤالاً قائلاً: ما الذي تلاحظونه في هذه الجملة؟
- بمجرد رؤيتهم لها يتبادر في أذهانهم درس سابق هو درس التشبيه، فيرفع أحدهم إصبعه مجيباً: ألاحظ وجود تشبيه في هذه الجملة.
- يجيب الأستاذ ب: ممتاز، وهو كذلك. إذا من يحدد لي أركانه؟
- يجيب أحد الطلبة بعد إعطائهم فرصة لتذكر الأركان واستحضارها، فيحدد المطلوب بقيامه بالتالي:

مريم: مشبه.

ك: أداة تشبيه.

القمر: مشبه به.

في الجمال: وجه الشبه.

- "الأستاذ: جيد، أحسنت عملاً. لاحظوا معي إذا الجملتين التاليتين" ويكتب:

رأيت قمرا يمشي على الأرض.

تضيء مريم بجمالها.

ثم يسألهم: "ما هي الكلمات المشتركة بين الجملة الأصلية وهاتين الجملتين؟"

- يجيب أحدهم: قمر في الجملة الأولى من هتين الجملتين ومريم في الجملة الثانية.
- إذا: ماذا جرى للجملة الأولى؟
- إجابتهم: حذفنا منها المشبه وتركنا المشبه به وكونا جملة: رأيت قمرا يمشي على الأرض، ثم أعدنا المشبه وحذفنا المشبه به وكونا جملة أخرى: تضيء مريم بجمالها.

- جيد، إذا ماذا نسمي التشبيه الذي يحذف منه المشبه تارة والمشبّه به تارة أخرى؟

- يبدأ التلاميذ بالتفكير فيترك الأستاذ الفرصة لهم للمحاولة مع توجيهه إياهم وإن استعصى الأمر يوضح الأمر لهم ويقول: عندما حذفنا المشبه في الجملة الأصلية اختل معنى الجملة فاستعرنا لفظ المشبه به ليعوض معناه وكذلك الأمر عندما حذفنا المشبه به، ثم يعود ليسألهم نفس السؤال السابق.
- هنا تنتضح الصورة للتلاميذ ليجيبوه: نسميه بالاستعارة

- يجيبهم ب: "أحسنتم، ومنه درسنا لهذا اليوم هو الاستعارة المكنية والتصريحية"، ويكتب لهم عنوان الدرس ثم يسألهم: ما تعريف الاستعارة؟
- يجيبونه بعد ربط ما تعلموه: هي تشبيه يحذف منه المشبه تارة والمشبّه به تارة أخرى.
- أحسنتم، ثم يوجه أنظار التلاميذ إلى النص الأدبي الذي كان قد كتبه لهم في بداية الحصة على السبورة بخط بارز تماما بهذا الشكل:
- النص الأدبي:** السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، وأنفاس العباد ثمارها، فشهد رجب أيام توريقها، وشعبان أيام تفريعها، ورمضان أيام قطافها، والمؤمنون قطافها، رمضان كالبرق في سرعته، يغدو شهوًّا ويعود أيامًا معدودة، باقترابه تفوح روائح النفحات الإيمانية العطرة التي تملأ الأجواء. أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فيا سعد من نال منه ثواب تدبر القرآن وكسب منه رضا الرحمن، هو شهر تفرح بلقياه القلوب، وتسعد بحلوله النفوس، فيه يُكثر المسلمون من الطاعات ويزيدون من الصدقات، فما أجمل أن تجد مساجد المعمورة وهي تزدهم بالمصلين لأداء صلاة التراويح، كبارًا وصغارًا نساءً ورجالًا يؤمهم بلبل يتحف مسامعهم بجميل ما أنزل الله من ذكرٍ حكيم في كتابه المبين.
- يقرأ الأستاذ لهم النص قراءة معبرة ليتذوقوا جماليته، بعدها يقوم يبدأ بتوجيه أسئلة لهم حول الجملة الأولى المسطر ومناقشتهم بالشكل التالي:
- من صاحب الروائح العطرة في هذه الجملة؟
- النفحات الإيمانية.
- وهل للنفحات الإيمانية روائح؟
- لا.
- ما الصاحب الحقيقي للروائح العطرة.
- الزهور (مثلاً).
- ما الكلمة التي استعملناها بدل الزهور؟
- النفحات الإيمانية.
- ما العلاقة بينهما؟
- النفحات الإيمانية تشبه الزهور في روائحها العطرة.

- إذا من يصيغ لي جملة التشبيه الأصلية؟
- تقوِّح روائح النفحات الإيمانية العطرة كالزهور .
- جيد، ما الذي حدث في جملة التشبيه هذه؟
- حذف المشبه به الزهور وبقي المشبه
- ماذا نسمي هذا؟
- استعارة...
- يكمل الأستاذ: مكنية وهذا هو النوع الأول من الاستعارة، من يعرفها لي؟
- الاستعارة المكنية هي تشبيه حذف منه المشبه وأبقى على المشبه به.
- يضيف الأستاذ: مع ترك لازمة من لوازمه (وجه الشبه)، ويطلب منهم شرح الاستعارة
- يجيب تلميذ بمساعدة أستاذه: حذف المشبه به (الزهرة) وترك المشبه (النفحات الإيمانية) وأبقى على لازمة من لوازمه (الرائحة العطرة) على سبيل الاستعارة المكنية.
- يكمل بنفس الطريقة ليصل إلى النوع الثاني من الاستعارة ألا وهو: التصريحية بعد أن يبين لهم في المثال الثاني بأن البلبل لا يؤم بالمصلين وإنما الإمام من يقوم بذلك ليكتشفوا وجود علاقة بين البلبل والإمام وهي حسن الصوت ويردوا جملة التشبيه إلى أصلها: يؤم المسلمين إمام كالبلبل، ويعرفوا أن الحذف مس المشبه فقط عكس ما حدث في الاستعارة المكنية.
- يسأل الأستاذ قائلًا: من يعرف لي الاستعارة التصريحية إذا؟
- أحدهم: الاستعارة التصريحية هي ما حذف منها المشبه وأبقى على المشبه به.
- ليصحح الأستاذ له: نقول صرح بالمشبه به وليس أبقي، ويقول: من يشرح لي الاستعارة في هذه الجملة؟
- أحدهم بمساعدة الأستاذ: حذف الكاتب المشبه وهو الإمام وصرح بالمشبه به البلبل على سبيل الاستعارة التصريحية.
- يكمل الأستاذ: أيهما أجمل المعنى الحقيقي أم المستعار؟
- المستعار.
- إذا ماذا أضاف المعنى المستعار على الجملة؟
- قوة وجمالاً.

وبهذا الشكل يكون قد انتهى من شرح الدرس وما تبقى إلا حوصلته في قاعدة بالشكل التالي:

القاعدة

تعريف الاستعارة: هي تشبيه حذف أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به)، وعلاقتها هي المشابهة دائما.

أنواع الاستعارة

الاستعارة قسمان: مكنية، تصريحية .

أ- الاستعارة المكنية: هي ما حذف فيها المشبه به، أو المستعار منه، ورُمز له بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه بعد حذفه.

مثل: شاخ الزمان. استعارة مكنية حيث شبه الزمان بإنسان يشيخ وحذف المشبه به (الإنسان) وكنى عنه بشيء من لوازمه وهي الشيخوخة .

ب- الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

مثل: "كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور". فهنا شبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور، وحذف المشبه (الكفر - الإيمان)، وصرح بالمشبه به (الظلمات - النور). على سبيل الاستعارة التصريحية.

تأثير الاستعارة في المعنى: تزيد الاستعارة من قوة وجمال المعنى.

بعد القاعدة يوجه الأستاذ للتلاميذ تمرينا يطبقون فيه ما تعلموه كالاتي:

تطبيق: ارجع إلى النص الأدبي المقدم لك سابقا واستخرج منه استعارة مكنية وأخرى تصريحية إن وجدت وشرحها.

- يجيب التلاميذ بعد التمعن جيدا في سطور النص ومحاولة إسقاط ما تعلمه على الجمل الموجودة فيه: ">...هو شهر تفرح بلقياه القلوب...<، حيث شبه القلوب بالإنسان وحذف المشبه به (الإنسان) وأبقى على لازمة من لوازمه (الفرح) على سبيل الاستعارة المكنية، أما الاستعارة التصريحية فلم أجد".

وبهذا ينتهي الأستاذ من عرض درسه آملا أن يكون قد أفادهم ولو بالقليل.

الخاتمة:

نختم قولنا بأن التعليمية في مجال البلاغة، قد أسهمت وأسهمت بالعديد من الطرق قديما وحديثا، فكان لها الفضل في تحسين جودة تدريس مادة البلاغة، ومن بين الطرق القديمة التي عالجناها في دراستنا هي الطريقة القياسية والاستقرائية، مشيرين إلى الأخطاء التي وقعتا فيها في تدريسها هذه المادة، مروراً للطرائق الحديثة المتمثلة في العصف الذهني والمقاربة بالكفاءات، والالذان زواجهما والطريقة الاستقرائية خالصين في الأخير بطريقة تجمع بينهم محاولين بعدها إسقاط تلك الطريقة على درس الاستعارة، هدفنا فيها تحقيق التوازن بين المعلم والمتعلم في العملية التعليمية دون إهمال لأي منهما، راجين المولى عز وجل أن نكون قد أفدنا بهذه الطريقة في تعليمية البلاغة عامة، وفي درس الاستعارة خاصة، لتكون دراستنا هذه نقطة بداية بحوث جديدة أكثر فاعلية في طرائق تدريس البلاغة.

(1) صديقي أمال، تعليمية البلاغة العربية وطرائق تدريسها، مجلة تنوير، جامعة معسكر، معسكر، العدد الرابع، ديسمبر 2017، ص 55.

(2) د. درويش راضية، مكونات المثلث (الفعل) الديداكتيكي ودوره في العملية التعليمية، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد 01، المجلد السابع، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2019، ص 4.

(3) أمال صديقي، مرجع سابق، ص 56.

(4) درويش راضية، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

(5) يُنظر: صديقي أمال، مرجع سابق، ص 56.

(6) يُنظر: درويش راضية، مرجع سابق، ص ص 2-8.

(7) أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة - البيان والبدیع والمعاني -، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2011، ص 19.

(8) رشيدة آيت عبد السلام، تعليمية البلاغة العربية على ضوء علوم اللسان الحديثة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2007/2008، ص 25.

(9) د. سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير - بين التنظير والتطبيق -، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى، عمان - الأردن، 2004، ص 39.

(10) يُنظر: المرجع نفسه، ص 40.

(11) يُنظر: المرجع نفسه، ص 48.

(12) المرجع نفسه، ص 48.

(13) المرجع نفسه، ص 48.

(14) المرجع نفسه، ص 48.

- (15) عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني-لمدرسي اللغة العربية-، دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة، القاهرة، 1991، ص318.
- (16) المرجع نفسه، ص320.
- (17) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (18) يُنظر: د. سعاد عبد الكريم الوائلي، مرجع سابق، ص ص 49-52.
- (19) يُنظر: بلخير شنين، طريقة النص الأدبي وتأثيرها في تدريس قواعد البلاغة العربية، مجلة العلامة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، العدد 01، المجلد 05، جوان 2020 ص ص 150، 151.
- (20) محمد الصغير أحمد، تعليمية البلاغة العربية تنظيرا وتطبيقا، مجلة تعليميات، جامعة المدية، المدية - الجزائر، العدد 03، جانفي - جوان 2013، ص ص 17، 18.
- (21) يُنظر: أ. د سعيد غني نوري، استراتيجية العصف الذهني، ماي 2019، متوفر على: https://www.researchgate.net/publication/332781438_astatyjyt_alsf_alddhny، أطلع عليه بتاريخ: 2023/03/30.
- (22) حميد حقي، المرجعيات النظرية والبيداغوجية للمقاربة بالكفايات، 2019، متوفر على: <https://www.youtube.com/watch?v=HCoTiZSnOE8>، أطلع عليه بتاريخ: 2023/03/20.